



طَلَقَتِ نُبُوءَاتُهَا

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

الراحل الباقي د. بهجت سليمان بعيون قومية

رحل عنا في كآبة شهر شباط/ فبراير الفائت في دمشق سيادة اللواء د. بهجت سليمان بعد معاناة مع داء الكورونا. وإذا كان أبو المجد معروفاً لكثيرين بالدور الإعلامي الذي نهض به في خضم الحرب على سورية، أو بأدواره العسكرية في حرب تشرين عام 1973 أو خلال الغزو الصهيوني للبنان عام 1982، أو بالأدوار المتعددة الأمنية أو السياسية أو الدبلوماسية التي لعبها في الدولة السورية على مدى عقود، وإذا كان كثير من أصدقائه ومحبيه ومتابعيه قد عدوا رحيله خسارة شخصية لا تعوض، وإذا كان أنصار الدولة السورية ومحور المقاومة سوف يفتقدون برحيل الدكتور بهجت سليمان أحد أبرز شخصياتهم الفاعلة والمتفاعلة، فإن القوميين في الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه أولى بأن يعتزوا بمثل هذه القامة الكبيرة التي ترعرعت في مدرسة البعث عقيدةً ومنهجاً وتنظيماً، فانطلقت منها وبنيت عليها لكي تتبين معالم الطريق في الظروف الملتبسة للقرن الواحد والعشرين، فبدأت وظلت متمسكة بالخط القومي العربي حتى اللحظة الأخيرة فكراً وممارسة.

لقد قيل وكُتب الكثير عن جوانبٍ مختلفةٍ من حياة الدكتور بهجت سليمان ومواقفه، إلا أن الجانب القومي العروبي في إرثه النضالي والفكري يستحق تركيزاً خاصاً لأن تفيقه هذه الإضاءة السريعة حقه إلا كمدخل ربما لدراسةٍ أوسع وأشمل لسيرته ومواقفه وكتاباته. لكن ما يجب أن يعرفه القوميون العرب عن الدكتور بهجت سليمان هو أنه:

أولاً، حمل راية الدفاع عن عروبة سورية في وجه الحملات المغرضة، التي تمثل جزءاً عضويًا من الحرب عليها، للتشكيك بالعروبة كهوية وانتماء، ولتجريد سورية من عروبتها، منذ التاريخ القديم إلى دورها في رفع راية المشروع القومي، بالرغم من طعنات بعض "الأصدقاء" ناكري الجميل والأعداء الرسميين العرب الذين أسماهم د. بهجت "أعراباً"، وقد كان له باعٌ طويلٌ في هذا المجال عمّ تأثيره الإيجابي على كثير من السوريين الشرفاء الذين تأثروا بالدعاية المناهضة للعروبة في خضم الحرب.

ثانياً، دأب على نشر الفكر القومي العربي ومراجعتة ومحاورة مصادره وحامله، وقد انعكس ذلك في كتاباته التي كان بعضها سياسياً راهناً وبعضها الآخر ذا طابع فكري يتضمن مراجعات كتب أو مقالات ودراسات لم تخل يوماً من إحالات قومية عروبية إن لم تكن العروبة موضوعها الرئيسي، ف"خاطرة أبي المجد" كانت خاطرة أحياناً، وأحياناً كانت قاطرة... لكنها كانت عروبيةً دوماً.

طلقة تنوير 74: رؤى قومية في الشأن الراهن/ رحيل د. بهجت سليمان

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 آذار 2021

- الراحل الباقي د. بهجت سليمان بعيون قومية
- لماذا يشكل التطبيع خطراً وجودياً على الشعب والدولة بالمغرب؟/ إبراهيم حرشاوي
- سورية: اقتصاد شرق الفرات في ظل ميليشيات "قسد" الانفصالية/ إبراهيم علوش
- تزييف الحقائق.. أولى خطوات تخريب الأوطان/ كريمة الروبي
- منبر حر: تاريخ فلسطين الحقيقي/ فارس سعادة
- الانتهازية السياسية: أسبابها ومظاهرها وأخطارها/ ناجي علوش
- الصفحة الثقافية: تهميش قضايا العرب في الأعمال الفنية/ طالب جميل
- ملحق ثقافي: الصعود الفني في فترة الوحدة المصرية- السورية
- قصيدة العدد: من أجل قامات الصباح/ طلعت سقيرق
- رسم العدد: سيادة اللواء د. بهجت سليمان

لمتابعنا انظر:

لمتابعنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:

arab.nationalist.moderator@gmail.com



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد



ثالثاً، لعب أبو المجد، كقائدٍ سياسي، دورَ مرساةٍ لتييار عام يتجاوز القطر العربي السوري جغرافياً، وقد امتدت شبكة علاقاته عبر الوطن العربي بأسره، ولكن مركز ثقله السياسي كان شامياً، أي سورياً ولبنانياً وأردنياً وفلسطينياً، مع امتداداتٍ باتجاه العراق ومصر وما هو أبعد، وقد مثل أبو المجد قطباً معنوياً للكثير من الأحرار في الوطن العربي المناصرين لسورية، وقد لعب هذا الدور بصفته قومياً عربياً، أي بصفته سفيراً للعروبة، لا لسورية فحسب، فمارس عملاً قومياً بصفته مناضلاً قومياً يعني بالشأن القومي، وكان في ذلك علامةً فارقةً في زمن تفشي الحس ما دون القطري.

رابعاً، دافع عن الهم الفلسطيني وعن قضية فلسطين ومشروع المقاومة، وعن مركزية القضية الفلسطينية في خريطة الصراع، وعن بوصلة العدو الرئيسي، وكان من أكثر من ربطوا ما بين الحرب على سورية والصراع مع العدو الصهيوني، وما بين الجولان ولبنان وفلسطين، وما بين مناهضة التطبيع والموقف المبدئي، ولم يصدر عن أبي المجد يوماً ما يوحى بقبول حق العدو بالوجود من قريب أو بعيد، ولم يثلوث يوماً بموقف نصف تطبيعي أو مهادن مع مطيعين، تحت أي ذريعة، على العكس تماماً، كان واضحاً وضوح الشمس في عدائه للمحتل الغاصب من دون رتوش، وكان ذلك جزءاً لا يتجزأ من رسالته وموقفه.

خامساً، التزم بكشف حقيقة المشروع التوسعي العثماني كما الصهيوني، وبكشف الأدوات القذرة لذلك المشروع، من حركات الإسلام السياسي إلى الجماعات التكفيرية، إلى مسلوب العقل والهوية الذين يدافعون عن الاحتلال العثماني، وله كتابات مشهودة في هذا المجال، كما أنه كان داعيةً للتنوير والعقل وللنهضة العربية، إلا أنه لم يكن مستتباً أو متغرباً، بل كانت له رؤية في العلاقة بين العروبة والإسلام، هي في المحصلة رؤية عروبية متنورة ومعاصرة، لقد كان أبو المجد مسلماً مؤمناً ونورانياً، وكان في أن معاً عقلاً وهدياً ومناهضةً للطائفية حتى النخاع.

سادساً، سعى لمد الجسور بين القوميين المختلفين، على تنوعهم، فكان يتواصل مع تياراتهم وشخصياتهم العديدة، وقد عرف عنه احترامه الكبير لجمال عبد الناصر، كما عبر عن ذلك مراراً، وللكتاب والمفكرين القوميين الذين لا ينتمون بالضرورة للمدرسة البعثية التي ينتسب إليها.

سابعاً، عُرف عنه اهتمامه بالتراث العربي شعراً ونثراً، وبتعميمه، وبنظم الشعر العامودي، وقد كان يعبر في ذلك عن موقفٍ قوميٍّ عروبيٍّ أصيلٍ أيضاً، لا عن موقف الدفاع عن سورية والمقاومة والأسدين فحسب.

هذا هو بعض ما عُرف عن الرجل، ويجب أن يعرفه القوميون العرب جيداً.

رحمة الله عليك يا أبا المجد.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

لماذا يشكل التطبيع مع الكيان الصهيوني خطراً وجودياً على الشعب والدولة بالمغرب؟

إبراهيم حرشايوي

قبل الإجابة عن هذا السؤال الذي يعتمل في ذهن الكثير من المغاربة ينبغي، بادئ ذي بدء، المرور على بعض المحطات التاريخية المتعلقة بالقضية الفلسطينية من "زاوية مغربية". فالخصوصية التي تجمع بين المغرب كقطر محوري بالوطن العربي من جهة، وفلسطين بصفتها قضية مركزية للأمة من جهة أخرى، ترجع إلى دور أهل المغرب العربي الحاسم في تحرير فلسطين إبان غزوات الفرنجة المسماة "الحروب الصليبية"، حيث تمسك صلاح الدين الأيوبي بأهل المغرب العربي وألح عليهم أن يستقرّوا بالقدس بجوار حائط البراق.

يضاف إلى تلك الخصوصية، التواصل الديني والثقافي- القومي المستمر بين أهل المغرب وفلسطين، إذ عُرف عن المغاربة على سبيل المثال التخيل والتقدس كطقوس تتم ممارستها بعد إتمام مناسك الحج. وقد أطلقوا مصطلح التخيل على زيارة قبر إبراهيم علي السلام في الخليل، ومصطلح التقديس على زيارة المسجد الأقصى بالقدس.

أما في الفترة المعاصرة، فتشكل مشاركة المغاربة في حرب 1948 تحت إشراف عميد المقاومة المغربية وقائد ثورة الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي محطة نيرة في التاريخ المغربي- الفلسطيني المشترك، ناهيك عن المشاركة البطولية لكتيبة مغربية على جبهة الجولان خلال حرب أكتوبر والتحاق عشرات المتطوعين المغاربة بفصائل المقاومة الفلسطينية والعربية في العقود التي تلت نكسة 1967.

وبالعودة إلى سؤالنا المطروح ومحاولة البحث عن صيغة للإجابة عليه في ظل المسعى الصهيوني لطمس مرجعية العلاقة المغربية- الفلسطينية التي تمثلها المحطات المذكورة سابقاً، ينبغي التأكيد على ما يلي:
أولاً: بناءً على الشخصية التاريخية للمغرب بصفته أحد القلاع الرئيسية للأمة العربية ودوره في ربط منطقة المغرب العربي سياسياً وثقافياً بالمشرق، استهدفت الحركة الصهيونية منذ نشأتها لغرض تهويده خدمة لمشروع "إسرائيل الكبرى". وفي هذا الصدد، اعتبر زعيم الحركة الصهيونية "تيودر هيرتزل" سنة 1903 بأن المغرب من بين أحد الخيارات المتاحة لليهود لإنشاء دولة صهيونية فيه بحكم تواجد أقلية يهودية توافدت إليه من كل حذب وصوب في مراحل مختلفة من تاريخ البلاد. وتستغل المدرسة الاستشراقية، بعدستها الصهيونية، هذا التواجد الأقلوي لليهود لصناعة تاريخ مهوّد للمنطقة تُرسم فيها المرحلة العربية- الإسلامية "كسحابة عابرة ودخيلة"، مما يجعل من معركة كتابة تاريخ هوية شمال إفريقيا والتأكيد بالمقاربات العلمية على الأصل العربي لسكانها معركة رئيسية لصد الاختراق الصهيوني.

ثانياً: يشكل ما يسمى "باليهود المغاربة" العمود الفقري لمشروع تقسيم المغرب بهدف تهويده على المدى الطويل، عن طريق ترويج خرافة تزعم بأن المغرب أرض يهودية استوطن فيها سبط "إفرايم"، وهو أحد أسباط "بني إسرائيل" بحسب زعمهم. وقد بدأت مثل هذه السرديات تطفو على السطح بقوة في السنوات الأخيرة وتساعدت إثر توقيع اتفاقية التطبيع، مع العلم أن الهدف الاستراتيجي هو إحلال هوية أمازيغية مهوّدة محل الحضارة العربية- الإسلامية بصيغتها المغاربية، وشطب الأخيرة كلياً كمرجعية انتماء، إذ لا يمكن فهم قرار النظام المغربي مثلاً إدراج الثقافة اليهودية في المناهج المدرسية وإبرام اتفاقية مع الكيان الصهيوني لبلورة برامج تعليمية مشتركة إلا بأنها خطوة من بين الخطوات العديدة التي تصب نحو إعادة تشكيل هوية المغرب بإقرار قطيعة مع كل ما هو عربي- إسلامي في المغرب العربي كله.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

ثالثاً: يتعرض المغرب كباقي الأقطار العربية وبعض الدول الإسلامية، لمشروع صهيوني لتجزئته على أساس استراتيجيات مدروسة. وتمثل خطة مستشار أرييل شارون «عوديد ينون» أحد أبرز الأمثلة لهذه الاستراتيجيات المنشورة سنة 1982 في مجلة «كيفونيم» تحت عنوان «استراتيجية (إسرائيل) في الثمانينيات»، إذ تشير هذه الوثيقة إلى أعمال الشغب «للحركة الأمازيغية» (المعروف أيضاً بتسمية «الربيع البربري») بمنطقة القبائل بالجزائر بمستهل الثمانينيات التي وصفها ينون بالحرب الأهلية. كما تشير الوثيقة إلى قابلية تقسيم المغرب العربي إثنياً على أساس تناقض مفتعل بين العرب والبربر، المشار إليهما كأميتين مختلفتين. أما إقليمياً، فقد عمد الكاتب الصهيوني إلى الاصطياد في الماء العكر بخصوص النزاع الدائر بالصحراء المغربية بين الجزائر والمغرب، بالإضافة إلى تأكيده على وجود اضطرابات في كلا البلدين. ولفهم مستجدات هذه الخطة على الصعيد المغربي، ننصح القارئ الكريم بالعودة إلى كتاب «بيبيو: الخراب على الباب» لرئيس المرصد المغربي لمناهضة التطبيع د. أحمد ويحمان، حيث يثبت بالدلائل والبرهان الخطة الصهيونية لتقسيم المغرب إلى خمسة كيانات.

رابعاً: ترجع الجذور التاريخية للفكر الصهيوني الحديث إلى نشوء الطائفة القبلانية اليهودية التي ترسخ وجودها بالمغرب بعدما ظهرت في إسبانيا وجنوب فرنسا بالقرن الثالث عشر ميلادي. وتعتمد القبلانية كمدرسة فقهية-باطنية مهيمنة على الديانة اليهودية على كتاب «الزواهر» الذي تم تداوله لأول مرة بين الحاخامات، بحسب بعض الروايات اليهودية، بمنطقة «تودغا» المغربية بعد العثور على نسخة للكتاب من قبل «حاخام مغربي» بالجليل الأعلى. ويرتبط ظهور القبلانية إلى السطح باسم الحاخامين موسى بن نحمان وإبراهيم بن صموئيل أبو العفيا، الذي ادعى أنه المخلص وحاول بهذه الصفة، نشر فكرة عودة اليهود إلى «أرض الميعاد»، وهي الدعوة التي أطلقها الكثير من القبلانيين اليهود في تلك الفترة، أبرزهم الفيلسوف موسى بن ميمون المقرب فكرياً من الطرح القبلاني. أما في المغرب، فقد انتشرت القبلانية عند فئة الحاخامات والحكماء اليهود، واستطاعوا بنفوذهم التأثير على أعلى حلقات السلطة بمراحل مختلفة من تاريخ المغرب إلى درجة أن ثورة سنة 1465 التي أطاحت بآخر سلطان للدولة المرينية كانت نتيجة لغضب شعبي لتفاقم الدور اليهودي داخل جهاز الدولة. وفي سياق متصل، تجدر الإشارة إلى مرحلة لاحقة حاول فيها التاجر اليهودي هارون بن مشعل تأسيس إمارة يهودية بنواحي مدينة تازة شرق المغرب إثر أقول الدولة السعدية في منتصف القرن السابع عشر. ويؤكد المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي عن هذا الموضوع في مقالته «الدولة العلوية ومقاطعة ابن مشعل» الآتي: «كان من الجائز أن تسلم البلاد إلى «دولة إسرائيلية» في ذلك الوقت المضطرب، وكان من الجائز أن ينوب المغرب عن فلسطين! نعم، إن «دولة إسرائيل» كانت بالفعل على وشك أن تقحم تازة، ثم تعم فاساً لتتسبب منها إلى البلاد الأخرى...».

وبالعودة إلى ظهور القبلانية بالمغرب، يرتبط اسم الحاخام أبراهام أزولاي الأكبر بأسماء الحاخامات الذين أدخلوا القبلانية إلى المغرب بعد استقرارهم بمدينة فاس في غضون ما يسمى أوروبياً «حروب الاسترداد». وتعتبر عائلة أزولاي من بين العائلات القبلانية المؤثرة على السلطة المغربية حتى يومنا هذا، حيث ينحدر منها مثلاً المستشار الملكي الصهيوني أندري أزولاي. وما يجعل ارتباط النظام المغربي بالقبلانية أكثر وضوحاً، هو نفوذ عناصرها الوازنة على الخيارات الاستراتيجية للمغرب، خاصة العلاقة مع الكيان الصهيوني، ودور «الحاخام الأكبر» ليهود المغرب القبلاني يوشيهيا بينتو في هذا المجال عن طريق علاقاته مع شخصيات مؤثرة بالكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية كجاريد كوشنر، الممول الأكبر لمنظمة «شوقا إسرائيل» التي يترأسها بينتو.

باختصار، وبعد معالجة السؤال المطروح بعبارة يتعين علينا أن نختتم بالخلاصة أن التطبيع المغربي مع الكيان الصهيوني يختلف شكلاً ومضموناً عن باقي الخطوات التطبيعية للأنظمة العربية، بالرغم من ارتباط التطبيع المغربي بنفس الخطة التجزئية والتخريبية التي يراها الطرف الصهيوني-أمريكي، إنما تكمن خطورة الحالة المغربية في قوة اللوبي الصهيوني «لليهود المغاربة» داخل جل مؤسسات الدولة المغربية، بالإضافة إلى دورهم المؤثر داخل الكيان الصهيوني نفسه. ومن المرشح أن يتصاعد هذا الاختراق بعد فتح باب المشاركة الانتخابية للجالية المغربية بـ«إسرائيل»، كما تتم تسميتهم من طرف دعاة التطبيع، وهو الأمر الذي قد يؤدي يوماً ما إلى انتخاب أمثال عمير بيرتس وغابي أيزنكوت كنواب وكوزراء للمملكة المغربية!



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

سورية: اقتصاد شرق الفرات في ظل ميليشيات "قسد" الانفصالية

إبراهيم علوش

أولاً - لمحة عامة عن مناطق سيطرة "قسد" وأهميتها الاستراتيجية لسورية:

بالإضافة للبعد الجغرافي-السياسي، المتمثل بإقامة حاجز بين سورية والعراق، وقطع التواصل بين أجزاء محور المقاومة، لا بد من التذكير بالبعد الاقتصادي فيما يتعلق بمناطق سيطرة "قسد" شرق سورية وشمالها الشرقي، بمعينة الاحتلال الأمريكي، برأ وجواً، لا سيما ذلك المتعلق بالنفط والغاز.

فحقيقة الأمر هي أن معظم حقول النفط والغاز المعروفة والمستكشفة في سورية تقع في محافظات الحسكة ودير الزور والرققة (أما الاحتياطات غير المستكشفة وغير المثبتة في البحر المتوسط أو في البادية والصحراء وحمص، فشاناً آخر). وواقع الحال هو أن "قسد" تسيطر على ثلث مساحة سورية، التي تضم 90% من حقولها النفطية، و45% من حقولها الغازية.

محافظة الحسكة مثلاً تحتوي حقولاً ضخمة من النفط والغاز مثل السويدية والرميلان وكرتشوك، ومعملي غاز الجبسة والسويدية، ومحافظة دير الزور تحتوي حقول التنك والعمر وغيرها، ومعمل كونيكو لإنتاج الغاز، وهذه كلها تحت سيطرة "قسد" والاحتلال الأمريكي.



واليكم جدولاً سريعاً بتوزيع السيطرة على حقول النفط والغاز المعروفة في سورية بحسب إنتاجها اليومي في عام 2010:

- محافظة دير الزور:

• حقل العمر 80 ألف برميل يومياً، ويضم الاحتياطي الأهم (تحت سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية")

• حقول التيم والورد 50 ألفاً (تحت سيطرة الدولة السورية)

- محافظة الحسكة (تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية):

- حقول الرميلان 90 ألف برميل
- حقول السويدية 116 ألف برميل
- حقول الشدادي والجبسة والهول 30 ألف برميل
- حقول اليوسفية 1200 برميل

- محافظة حمص (تحت سيطرة الدولة السورية):

- حيان 6 آلاف برميل
- جزل 3 آلاف برميل

- حقول الغاز وإنتاجها اليومي:

- الحسكة (تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية)



لائحة القومي العربي

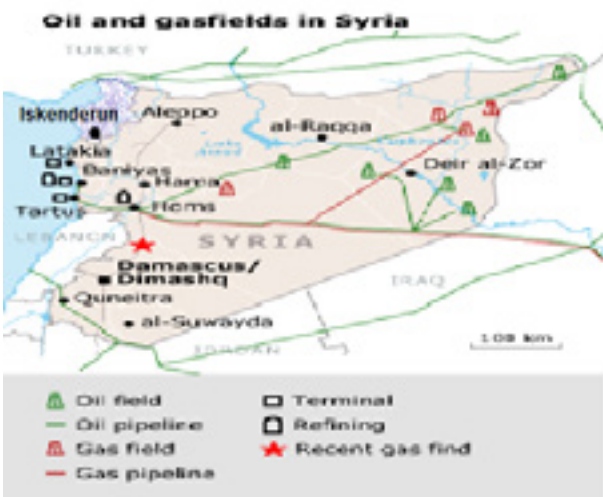
العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد



- حقول الرميلان 2000000 متر مكعب يومياً
 - حقول الجبسة 1600000 متر مكعب يومياً
- محافظة حمص (تحت سيطرة الدولة السورية) وفيها حقول:

شاعر 3 ملايين متر مكعب يومياً
الهيل 2 مليون متر مكعب يومياً
أراك 750 ألف متر مكعب يومياً
حيان 650 ألف متر مكعب يومياً
جبار 350 ألف متر مكعب يومياً
المهر 400 ألف متر مكعب يومياً
أبو رباح 300 ألف متر مكعب يومياً

نلاحظ من الخرائط المرفقة أن قصة "شرق الفرات" و"غرب الفرات" هي في جانب أساسي منها قصة نفط وغاز، وإذا كانت الدولة السورية تسيطر على بعض الحقول الثانوية في ريف الرقة الشرقي والجنوبي، وعلى حقول غاز مهمة في البادية السورية، مثل حقل شاعر والهيل وأراك، فإن الواقع يبقى أن القسم الأعظم من ثروة سورية النفطية والغازية المستشفة والمعروفة تقبع في ظل الاحتلال الأمريكي... حتى منطقة التنف التي توجد فيها قاعدة عسكرية أمريكية على نقطة استراتيجية بين سورية والعراق والأردن، هي بالأساس حقل صخر زيتي يضم امتداده في العراق ثروة نفطية وغازية هائلة.



وتضم المنطقة التي تسيطر عليها "قسد" أيضاً 60% من الأراضي الزراعية للمحاصيل الرئيسية في سورية مثل القمح والشعير والقطن، وأهم ثلاثة خزانات للمياه العذبة في البلاد، على رأسها بحيرة الأسد (665 كم2)، التي تؤمن مياه الشرب لحلب، وتؤمن الكهرباء من سد طبقة، ناهيك عن بحيرة تشرين (166 كم2)، وإنتاج الطاقة الكهربائية من سد تشرين، المسيطر عليه أيضاً من "قسد"، وسد البعث في الرقة وخلفه بحيرة البعث (72 كم2). كما أن المنطقة التي يسيطر عليها الاحتلال الأمريكي، مباشرة أو عبر أدواته، تمثل مساراً محتملاً لأي خط أو أنبوب غازي يمكن أن يمر عبرها من السعودية عبر الأنبار إلى تركيا!

العبرة هي أن السيطرة الأمريكية على شرق وشمال شرق سورية تحرم البلاد من موارد ضرورية لإعادة الإعمار بعد الحرب المدمرة التي تعرضت لها فحسب، بل لتسيير الدورة الاقتصادية، لا سيما في ظل الحصار، كما أن عملية نهب أمريكية منظمة لتلك الموارد تجري اليوم على قدم وساق، يستخدم جزء منها لتمويل "قسد"، أو عملية تمويل العصابات الإرهابية بشكل عام، فيما تتم محاولة "ابتزاز" سورية سياسياً من خلال التلويح بـ"مساعادات إعادة إعمار" غريبة لم تطلبها سورية أصلاً، وفيما تتم محاولة تفرغ السكان من شرق سورية من خلال مجازر يومية يرتكبها طيران "التحالف الدولي"، كما هي عادة الغرب في كل المناطق الغنية بمصادر الطاقة.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

لهذا كله لا تريد الولايات المتحدة أن تخرج من شرق سورية وشمال شرقها، بالإضافة لأهدافها الاستراتيجية المعروفة في السعي لتفكيك سورية ومحاولة تفويض دولتها.

ولهذا كله لا بد من إعادة التأكيد دوماً على مطلب سحب القوات الأمريكية (والتركية) من سورية والعراق.. لا كشرط لتحقيق سيادة سورية على أرضها فحسب، بل كشرط موضوعي ضروري لتسهيل عملية إعادة الإعمار.

ثانياً – المورد الاقتصادي الأساسي للسكان شرق الفرات، والعلاقات الاقتصادية بينها وبين مناطق الدولة وغيرها:

سيطرة «قسد» على معظم الموارد الاقتصادية شرق الفرات، بالاقتران مع الظروف العامة للحرب على سورية، ترك العرب عموماً، والعشائر خصوصاً، في تلك المنطقة، في حالة اقتصادية صعبة جداً، شكّل الانضمام لـ«قسد» أحد مخارجها الفردية المحتملة.

كانت الدولة المشغّل الرئيسي في تلك المناطق التي عانت من ضعف التنمية الاقتصادية قبل الحرب بسبب إغراض القطاع الخاص عنها، بالرغم من استثمارات الدولة في مجال البنية التحتية والتعليم والصحة، ولذلك فإنها تعتبر، مع مناطق الجنوب السوري وإدلب، المحافظات الأقل تنمية مقارنة بمناطق حلب ودمشق وحمص.

لعبت الحرب دوراً رئيسياً في تدمير الموارد الاقتصادية لشرق الفرات، على سبيل المثال، يعاني معمل السكر في مدينة الرقة من أعطال كبيرة بسبب نهب محتوياته من قبل «حركة أحرار الشام» عام 2013 ونقلها إلى تركيا، ومن ثم بسبب المعارك الطاحنة بين «داعش» و«قسد» للسيطرة عليه عام 2017، وكان يعتبر المعمل مصدراً رئيسياً لمزارعي الشوندر السكري في المنطقة.

في ظل الحرب، لم يتبق للمواطنين إلا العمل في منشآت صغيرة، مثل المصانع الصغيرة للمواد الغذائية، والبسطات، وما شابه، وهو قطاع يوفر بعض فرص العمل ويعاني في الآن عينه من صعوبات جمة. وقد شكل القطاع الزراعي تاريخياً مورداً رئيسياً لحياة المواطنين شرق الفرات، وقد أصيب محصول القطن في محافظة الحسكة في العام 2018 بدودة اللوز الشوكية التي جعلت الإنتاج يقل بنسبة الثلثين عن المتوقع، ليصل إلى 5000 طن فحسب، نزولاً من 16 ألف طن، كذلك انخفض إنتاج القطن بشدة في محافظة الرقة بسبب الدودة وانخفاض منسوب المياه المتدفقة من سد الفرات وارتفاع أسعار المحروقات إلخ... وقد عادت الأسواق الترابية في مدينة الرقة للازدهار من جديد بعد تحريرها من «داعش»، لا سيما «سوق العرب»، بالرغم من أن 80% من المدينة ترقد في الدمار الذي قامت به «داعش» وما يسمى «التحالف الدولي ضد الإرهاب»، ومن الملاحظ أن هذا التحالف المزعوم لم يقم بإعادة إعمار الرقة مع أنها تحت سيطرته!

يشار إلى أن محاصيل القمح والشعير في الرقة غرقت عام 2017 بسبب إجراءات قام بها كلٌّ من «داعش» و«قسد». وقد تسببت كل تلك الظروف بموجات هجرة عربية من شرق الفرات باتجاهات مختلفة.

رغم ذلك، ثمة محاولات لتحسين وضع المزارعين الاقتصادي شرق الفرات حتى في ظل الحرب، ومن ذلك مثلاً إصدار الرئيس بشار الأسد قانوناً عام 2019 يقضي بتأسيس مؤسسة اقتصادية لتجارة وتصنيع وتخزين الحبوب ومقرها في محافظة الحسكة في شمال شرقي سورية، وهي التي تتعرض للنهب الآن من قبل ميليشيات مختلفة تابعة للمحتل الأمريكي أو التركي.

السيطرة الاقتصادية لـ«قسد» على موارد المنطقة واحتكارها لنفسها ولتمويل أجندتها، لا سيما مشروع «الإدارة الذاتية» جعلت الأمور بالنسبة للسكان المحليين أكثر صعوبة، ولكنها لم تنم من دون احتجاجات، بل كانت هناك محاولات اعتراضية من العرب، ومن ذلك مثلاً قيام مجموعة من أبناء العشائر في ريف دير الزور الشرقي في 12 كانون أول 2018 تقريباً، بالسيطرة على آبار نفط قرب حقل كونيكو في بلدة خشام الواقعة تحت سيطرة «قسد» والذي يضم أيضاً قاعدة عسكرية كبيرة. وبلغ عدد الآبار النفطية التي سيطر عليها أبناء العشائر نحو 8 متوزعة بالقرب من حقل العمر والجفرة، وحقل كونيكو للغاز.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

وقد بات من البديهي والمعروف أن المقاومة الشعبية في شرق الفرات ضد "قسد" وأسيادها الأمريكيين تصاعدت في الأشهر الأخيرة وأنها اتخذت شكل احتجاجات شعبية متزايدة وعمليات عسكرية متكررة ضد أهداف ثابتة ومتحركة لـ"قسد"، وهو ما تغطيه وسائل الإعلام السورية يومياً، لذلك لن نتوسع فيه كثيراً هنا.

بالإضافة للبعد الوطني السوري، تشكل المطالب الاقتصادية-الاجتماعية للعشائر العربية جزءاً أساسياً من محركات الاحتجاجات ضد "قسد"، ويقول تقرير في صحيفة الـ"إنديبنندنت" البريطانية في 7 أيار 2019 وضعه معارض سوري مثلاً: "خرجت طوال الأيام التي سبقت عقد مؤتمر بلدة عين عيسى العديد من التظاهرات، ولو الصغيرة، في مختلف قرى وبلدات محافظة دير الزور، لكنها كانت مهياة لأن تتوسع وتكبر. تمحورت مطالباتها حول مسائل منع تهريب المازوت والنفط إلى مناطق النظام عبر الأنابيب البلاستيكية والعبارات في نهر الفرات أو بالصهاريج، وطالبت بتوزيع النفط لأصحاب الحراقات (مصافي محلية بدائية) لتخفيض أسعاره المرتفعة، وتوسيع صلاحيات القيادة العرب داخل صفوف قوات سوريا الديمقراطية، ودعم مجلس دير الزور العسكري، كما طالبت بمنع ظاهرة انتشار الفساد وتعاطي الخمر والمخدرات والحشيشة وتوفير فرص عمل للشباب العاطلين وإلغاء التجنيد القسري ونظام الكفيل".

"قسد" تتصرف كدولة "ذات سيادة" في شرق الفرات، وقد رخص الكرد مشاريع استثمارية، وقد سئوا خلال الأعوام الماضية عشرات القوانين الهادفة لتنظيم الحياة في مناطقهم. وقد هاجر رجال الأعمال الموجودون في تلك المناطق، وفككت شبكات النقل والتجارة، وأرخت الحرب أثقالها على الحياة الاقتصادية الهشة أصلاً، مما جعل الأمور أكثر صعوبة لعامة السكان.

ويبدو أن النظام التركي دخل على خط التنافس بين الدولة السورية و"قسد" لاستقطاب العرب في شرق الفرات، ويضيف تقرير الـ"إنديبنندنت" ذاته أن "تركيا تتجه لتكثيف سعيها إلى تنظيم مجتمعات النازحين السوريين من منطقة شرق الفرات، المُستقرين بأعداد كثيفة في ولاية أورفا على الحدود السورية عند محافظة الرقة".

ويقول تقرير في "القدس العربي" قطرية التوجه في 6 نيسان 2019: "يشكل الصراع على دعم العشائر العربية في شرق الفرات وخصوصاً في دير الزور ملمحاً هاماً لجأت إليه إيران من خلال نشاطها في مدينة دير الزور والبلدات الشرقية الواقعة على ضفة الفرات اليمنى أو ما يعرف محلياً بالبادية الشامية. وتعتمد إيران على «لواء الباقر» بشكل رئيسي لتجنيد وربط قبيلة البكاره بها. وهو ما اتضح من خلال تسهيل عودة شيخ قبيلة البكاره من تركيا إلى حوض النظام السوري. أو من خلال دعم بعض وجهاء العشائر المحليين. وتدعم إيران «المجلس القومي لشيوخ العشائر والقبائل العربية» بشكل غير مباشر عبر قائد «لواء الباقر» خالد حسين الحسن، وهو أكبر الأذرع العسكرية الإيرانية في المنطقة القبلية وينشط غرب دير الزور التي تعتبر معقل قبيلة البكاره. وتحاول إيران استقطاب الوجهاء المحليين في الضفة الأخرى للنهر والتي تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية من خلال تلك الصلات الاجتماعية والعشائرية".

يضيف التقرير ذاته: "تركيا تنبهت إلى أهمية ملف العشائر مؤخراً، بعد اهمال طويل فدعمت تشكيل «المجلس الأعلى للقبائل والعشائر السورية المعارضة» في كانون الأول/ديسمبر 2018. واستقبلت قائد "الائتلاف الوطني" الأسبق، أحمد الجربا من أجل بلورة لملمة ما تبقى من قوات النخبة التي يتزعمها، وحصل ذلك بعد منع السلطات التركية الجربا من دخول أراضيها دام أربعة أعوام".

علاقة "قسد" بمناطق "الحكم الذاتي" في شمال العراق: ابتداءً من عام 2015، كانت "قسد" تحصل على أكثر من 10 مليون دولار شهرياً من مبيعات النفط والغاز السوري، ومن المرجح أن تلك الملايين ازدادت كثيراً بعد تمدد سيطرة "قسد" الجغرافية أكثر بكثير مما كانت عليه عام 2015. لكن ذلك المبلغ يمثل جزءاً تافهاً من مبيعات النفط والغاز السوري، إنما هو كلفة "حمايتها" التي تقدمها الولايات المتحدة لـ"قسد"، إذ تقوم 80 شركة أجنبية، معظمها أمريكي، بتجارة النفط والغاز في شمال العراق، وتتولى تلك الشركات نقل النفط والغاز السوري إلى شمال العراق ليصار من ثم إلى تكريره وبيعه إلى تركيا... مع النفط والغاز المسروق من العراق، ليصدر قسم كبير منه بعد ذلك إلى الكيان الصهيوني... ويشار إلى أن كل عمليات النقل هذه تمت من خلال عقود بين تلك الشركات الأجنبية، من دون أن تكون "قسد" أو "سلطة الحكم الذاتي" في شمال العراق طرفاً فيها! فالولاية هنا للشركات النفطية والغازية الأجنبية برعاية المحتل الأمريكي بحسب هذا الرابط:

<https://now.mmedia.me/lb/en/NewsReports/565952-syria-kurds-making-millions-from-oil-sales>



تزيف الحقائق.. أولى خطوات تخريب الأوطان كريمة الروبي

تمتلى مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة بكم هائل من المعلومات بعضها صحيحة والجزء الأكبر منها مزيفة، ولا شك في أن تزيف المعلومة لا يحدث بصورة عفوية بل لتحقيق هدف من وراء هذا التزيف.

وقد أتاحت برامج الفوتوشوب والجرافيكس إمكانية التلاعب في الصور والفيديوهات، مما جعل فبركة المعلومات والأخبار أمراً في متناول الكثيرين، وانتشرت الشائعات بصورة كبيرة شهدناها جميعاً خلال أحداث ما أطلق عليه "الربيع العربي"، وبدلاً من أن يؤدي انتشار مواقع التواصل الاجتماعي إلى تبادل المعارف وتعزيزها، فقد أدت إلى تخلي الأفراد عن البحث وراء المعلومة والقراءة المتأنية، وأصبحت المعلومات متاحة أمامهم كوجبة (تيك أوي)، في منشور أو (تغريدة)، مما ساعد على انتشار فوضى المعلومات السريعة التي لا تعبر إلى العقل لتحليلها واتخاذ مواقف سليمة بناءً



عليها، بل يتم اتخاذ مواقف مبنية على العواطف (كالكرهية والحب) لا العقل، وما أخطر أن يحكم الفرد على الأمور وفقاً لأهوائه وانفعالاته النفسية، وحين ينسحب الأمر على القضايا العامة يتحول إلى كارثة نعيش آثارها وما نزال نعاني منها، وكيف تم استغلال تلك الحالة في تجنيد الآلاف من شباب الأمة لتدمير أوطانهم وقتل أشقائهم، بدلاً من تجنيدهم للتخلص من عدوهم الذي يدير المشهد وهو آمن مطمئن بأن جيلاً قد تم تزيف وعيه لن يكون بوسعه تمييز عدوه من صديقه.

وتتمثل خطورة فوضى المعلومات كونها تأتي في إطار عملية ممنهجة لتشويه التاريخ والرموز الوطنية التي ناضلت من أجل استقلال أوطانها وكانت شوكة في حلق المستعمر، وذلك بهدف تنشئة أجيال جديدة لا تنتمي لأوطانها وتقبل بالخضوع والاستسلام للأمر الواقع وترفض كل حركات الاستقلال والتحرر ورموزها، التي يتم وصفها بالقيادات المهزومة، وادعاء أن كل من ناضل ضد المستعمر كان مصيره الهزيمة وأن السعي لاستقلال الأوطان مصيره الحتمي هو خراب الأوطان.

حين ينشأ جيل يحمل مثل هذه الأفكار الانهزامية، فإن هذا يعني أن الأمة قد تعرضت للهزيمة من الداخل ما يؤهلها للخضوع وعدم القدرة على مواجهة العدو الخارجي.

إن محاولة مواجهة المعلومة المزيفة بأخرى صحيحة لا يعني بالضرورة اقتناع هؤلاء الأفراد الذين تعرضوا للتزيف بها، فالمعلومات التي يتعرضون لها كثيرة ولها مصادر أيضاً، حتى وإن كانت تلك المصادر غير أمينة أو مجرد مذكرات لأشخاص ليسوا محل ثقة، فتبني الأشخاص لوجهة نظر بعينها لا يعتمد على نوعية المعلومات المقدمة لهم فحسب بل هناك عدة عوامل أخرى تتحكم في الأمر، منها:

- 1- التكوين النفسي والأخلاقي والقيمي للفرد، أو ما يمكن أن نطلق عليه الفروق الفردية بين الأفراد، فمهما تعرض إنسان هو في أصل تكوينه إنسان متخاذل وجبان مثلاً لمعلومات وآراء تدعم قيم الكرامة وعزة النفس، فلن يقتنع بها أو يتبناها.
- 2- الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، فالناس ينقسمون لفئات اجتماعية، كل فئة لها سلوكياتها وأنماط تفكيرها، وتتشابه الاستجابة للمعلومات داخل كل مجموعة، وبالتالي يتأثر الفرد بالجماعة التي ينتمي إليها. كما تشير نظريات الاتصال إلى وجود عمليات انتقائية يقوم بها الإنسان بصورة لا إرادية لتدعيم وجهة النظر التي يتبناها وفقاً لتكوينه النفسي أو فئته الاجتماعية التي ينتمي إليها أو المعلومات المزيفة التي تعرض لها منذ البداية، وتتمثل في ثلاث عمليات:



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

- 1- التعرض الانتقائي: أي أن الفرد يختار - من دون وعي - المادة أو المعلومة أو الرسالة التي يتعرض إليها من بين كل هذا الكم الهائل من المعلومات والرسائل المتاحة أمامه فهو يختار من بينها ما يؤيد وجهة نظره.
- 2- الإدراك الانتقائي: أي أن الفرد حين يتعرض لعدد من الرسائل والمعلومات المختلفة فإن عقله يدرك ويفسر تلك المعلومات بالصورة التي تؤيد وجهة نظره.
- 3- التذكر الانتقائي: وهذا يعني أن الفرد يقوم - لا إرادياً - باختيار المعلومات التي يخزنها في ذاكرته ويستدعيها متى أراد.

تلك العوامل النفسية والانتقائية تفسر بصورة كبيرة لماذا لا يتأثر الجمهور بالمعلومات والآراء المقدمة له أو حتى يحاول البحث في مدى صحتها لاتخاذ قرار تبنيها من عدمه، في الوقت الذي تبنى فيه عدد كبير من هذا الجمهور لمواقف مبنية على معلومات وحقائق غير منطقية على الإطلاق.

هذا لا يعني التخاذل في توضيح المعلومات الصحيحة لمواجهة الزيف الذي يتعرض له جيل بأكمله بصورة غير مسبوقة، فكما أن هناك نفوساً دنيئة تقبل إهانة أوطانها ولا تعرف معنى الكرامة والشرف، فإن هناك أيضاً نفوساً عزيزة ولكنها محاطة بسيل من المعلومات المزيفة وتحتاج لانتشالها من وسط كل هذا الكم من التزييف وتوضيح الحقائق لها لتبنيها، ودور النخبة هنا هو توصيل تلك المعلومات إليهم وجذبهم لمعسكر الحق في مواجهة الباطل.

المعركة باتت معركة وعي، ومعركة حس عام، وفي مثل تلك المعركة فإن النخبة القومية المقاومة يقع على عاتقها أن تسعى لمواجهة مد الأكاذيب والتضليل من جهة، وأن تسعى لرفع سوية الجمهور المستهدف بتلك الأكاذيب والأضاليل، أي جمهورنا، من جهة أخرى. ولا بد على هذا الصعيد من أن تقوم العناصر الطليعية، الأكثر وعياً والتزاماً بالأهداف القومية والموقف الوطني، والأكثر استعداداً لكي تبتذل وقتها وجهدها في العمل في قضايا تتجاوز الذات الفردية، من أن تطور مهاراتها وكفاءتها في معركة الإعلام والثقافة بما يتجاوز اكتساب المعرفة بحد ذاتها إلى:

- 1 - دراسة أساليب العدو، ونقاط قوتها وضعفها، والسعي لتطوير استراتيجيات للرد عليها،
- 2 - إيصال الفكرة والمعلومة بطريقة أكثر ملائمة لوتيرة عصرنا السريعة وبأدوات أكثر جاذبية للمتابعين،
- 3 - الاستمرار ببناء مشروع الوعي والثقافة النوعي والمعمق، وهو ما لا يتحقق عبر "الوجبات السريعة" على وسائل التواصل، فالحقيقة تبقى أن الأساس هو الوعي الفكري ذو الطابع المنهجي والتماسك، ومن دون هذا، تقع فريسة للضحالة التي يشكل الترويج لها أحد أهم نقاط برنامج التفكيك الذي يتعرض له شبابنا على مستوى عقلي وفكري، لا على مستوى سياسي واجتماعي فحسب.

منبر حر: تاريخ فلسطين الحقيقي: مقدمة حول التاريخ وعلم الآثار

فارس سعادة

يكثر الحديث حول الماضي في فلسطين من قبل عامة المواطنين العرب، وغالباً ما ينتهي الحديث إلى "حقيقة" وجود إسرائيل القديمة في فلسطين التاريخية لكنها لاحقة للكنعانيين ولم تمكث سوى عقود قليلة، أو أنها كانت مملكة محلية لا أكثر ولا أقل. يخرج هذا الاستنتاج بسبب عاملين اثنين: الأول هو تأكيد الروايات الإسلامية والتراثية الشفوية لهذه الفكرة، والثاني هو وجود هذه المعلومة في بعض المناهج التعليمية في المدارس العربية. ولكن، ما هي المشكلة في هذا الطرح؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجب التعريف بالخطاب أولاً ومن ثم إيضاح السردية الحقيقية أو لنقل السردية الأكاديمية التي وصلتنا من خلال العلم والبحث الأثري والتاريخي.

الخطاب هو مجموعة من الأفكار المنطوقة أو المكتوبة والتي تتشكل ضمن مجال معرفي محدد داخل مجال أو مجالات اجتماعية معينة، تعكس فكرة أو أفكاراً معينة، وممارسات ذات أسس خاصة بها.



نظر الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو حول الخطاب وآلياته، وقد أشار إلى وجود مجالات عامة للخطاب تترافق مع بنية تحتية لهذا الخطاب، أي ربط الخطاب بالسلطة والمعرفة وإلى حد ما بالأخلاق المعاصرة لهذا الخطاب، فخطاب الساسة الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر ترتبط بأخلاق ذلك القرن، وهكذا دواليك. فالخطاب يرتبط بالعصر والمعرفة المرتبطة به والسلطة السائدة أو المهيمنة على المجالات الاجتماعية. وقد ربط فوكو الخطاب بالتاريخ، وبذلك يصبح التاريخ هو المجال الأوسع للخطاب والذي يشتمل على جميع الخطابات بغض النظر عن نوعية أو كم المعرفة التي تشكل في مجالها هذا الخطاب أو ذلك. ولكن هل نستطيع القول بأن الخطاب يملك قوة لكي ينقل الماضي إلى الحاضر؟ هل يمكن لخطاب معين بأن ينتج حقيقة الماضي؟

الخطاب التاريخي حول فلسطين خلال العصر الحديث أي بعد الثورة الصناعية في أوروبا وصل إلى القرن الواحد والعشرين بحسب مقاييس معينة مرتبطة بالسلطة والهيمنة الغربية على المعرفة. وهنا نتحدث عن الأفكار حول ماضي فلسطين التاريخي المنعكس في عقول عامة العرب والغربيين، والذي لم يخرج من عباءة الكلاسيكية المعرفية في علم الآثار إلا في القاعات الأكاديمية الرفيعة في الغرب أو في الشرق.

أصول الخطاب الأثري والتاريخي حول فلسطين

من الصعب الحديث عن أصول الخطاب التاريخي حول فلسطين في صفحات معدودة، ولكن يمكن تلخيص أهم هذه الأصول في النقاط التالية:

1. التوراة والمرويات الدينية المسيحية والإسلامية: تتربع السردية التوراتية على عرش الرواية التاريخية الفلسطينية، وتتسرب إلى باقي الروايات الدينية السماوية بشكل متواتر مع قليل من الاختلافات السطحية التي لا تنفي الرواية التوراتية.
2. كتب الرحالة الأوروبيين ورجال الكنيسة في الشرق: وتستمد هذه الروايات مصداقيتها من خلال المشاهدات المباشرة والوصفية لهؤلاء الرحالة والذين هم غالباً حجاج مسيحيون قدموا إلى المشرق لدواعٍ دينية وسياسية، تحتوي على الأفكار التوراتية والإنجيلية المعروفة سابقاً في الغرب عن فلسطين.
3. الاستشراق: يمكن القول إن دراسة الشرق بشكله العلمي كمجال للدراسة خلال القرن السابع عشر، لم يخرج عن النصوص الأدبية والتاريخية الكلاسيكية، وبالتالي لم يخرج الاستشراق عن كونه نقلاً للحقيقة التاريخية التي تناسب العقل الغربي، مع وجود شطحات معرفية هنا وهناك خصوصاً عبر المستشرقين الألمان الذين قدموا ما هو خارج قالب المعرفة الغربي. وقد كان غوستاف دالمان المستشرق واللاهوتي الألماني أحد هؤلاء، فقد أبرز فلسطين بقالب تاريخي جديد، وسجل تراث أهلها بحسب مجاله المعرفي لا مجاله السياسي.
4. علم الآثار: يشمل علم الآثار في فلسطين جميع الممارسات الأثرية التي حدثت في فلسطين منذ القرن التاسع عشر وصولاً إلى اليوم، وقد تميزت الممارسات الأثرية في فلسطين بأنها حدثت في مجال كولونيالي دائماً بعكس أغلب مناطق «العالم الثالث» والدول المستقلة، ففلسطين كانت تحت الاحتلال العثماني ومن ثم البريطاني وأخيراً الصهيوني، ولذلك بقي علم الآثار يُمارس ضمن مجالٍ مرتبطٍ بالسياسة دائماً.

شكل كتاب التوراة تاريخ فلسطين في العقل الغربي، فأصبحت مملكتنا إسرائيل ويهوذا حقيقةً ومسلمةً تاريخيةً في العقل الغربي، وبالتالي أصبح من الضروري العثور على أنقاض هذه الممالك في فلسطين. ومن هنا بدأت قصة الآثار في فلسطين، فمن جامعي الكنوز الأوروبيين إلى علماء الآثار الإنجليز والفرنسيين والألمان والأمريكيين تم الحفر في فلسطين بشكلٍ مستمرٍ منذ نهاية القرن التاسع عشر، وقد اعتمدت هذه الممارسات على الخرائط الإنجليزية لفلسطين التي رُسمت من قبلهم خلال الربع الثالث من ذات القرن.



مشكلة الخطاب التاريخي حول فلسطين هي أسبقية المعرفة الغربية على الممارسات الأثرية، وهذا يعني أن المصطلحات والأسماء الجغرافية والديموغرافية لفلسطين كانت مسجلة ومحفوظة في العقل الغربي قبل البدء في العمل الأثري، وبالتالي سار العمل الأثري في فلسطين بحسب مقاييس معرفية معينة وخاصة بالغرب، ومن أجل مصالح ودوافع سياسية وتاريخية خاصة.

هذه المشكلة أفرزت العديد من المشاكل الأخرى التي تتعلق بعملية التحقيب التاريخي لفلسطين، وعمليات التفسير الأثري والشرح المعرفي إضافة إلى التأويل التاريخي لهذه الممارسات وقتها، وهذا أدى إلى تأطير هذه الممارسات بأطر معرفية نظرية وعملية مرتبطة بالمصالح السياسية والتاريخية الغربية، مما حول العمل الأثري إلى ممارسات معرفية مبنية على أيديولوجيات معينة لتحقيق مصالح سياسية مرتبطة بالجهات الرسمية وغير الرسمية التي أشرفت على هذه الممارسات.

أسس الألمان علم الآثار الفلسطيني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد كان غوستاف دالمان أول علماء الآثار الألمان الذين كتبوا وتحديثوا عن فلسطين التاريخية وسجل تراثها الشعبي وكل ما يخص الإنسان العربي الفلسطيني داخل كتبه الكثيرة عبر الصور وشرح العادات الفلاحية والاختلاف بين المناطق الفلسطينية وما إلى ذلك من أنثروبولوجيا فلسطين الحديثة. وبالرغم من ضلوع الألمان في فلسطين أثرياً إلا إن الخطاب الأثري الألماني لم يشارك في رسم ملامح معرفتنا حول فلسطين إلا عبر ملاحظات ومواقع بسيطة سجلت باسمهم، وذلك يعود لأسباب سياسية بالدرجة الأولى.

عمل الألمان في فلسطين كما غيرهم من البعثات المعرفية الأثرية في فلسطين منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر، كالفرنسيين والإنجليز والأمريكان والروس وغيرهم من الأوربيين، ولكن وبسبب نتائج الحرب العالمية الأولى، وسيطرة الاحتلال البريطاني على فلسطين وكل جنوب سورية، منعت البعثات الألمانية من العمل في فلسطين وفي كل المناطق التي سيطر عليها الحلفاء، وهذا ما تسبب في اختفاء الخطاب الألماني تحديداً، أو لنقل عدم وصول نتائج وتقارير الحفريات الألمانية إلى المكتبات العالمية وغالباً لم تتم ترجمة هذه التقارير والنتائج أو الأبحاث من الألمانية لأي لغة أخرى. والسبب في ذلك هو عدم معرفتنا بها أساساً أو صعوبة الوصول لها في ظل هيمنة الخطاب والممارسات الإنجليزية والأمريكية على المشهد التاريخي في فلسطين، فقد قامت البعثات الأثرية الإنجليزية والأمريكية بالحفر في فلسطين وفي أغلب المواقع التي سجلها الألمان سابقاً قبل منعهم من العمل بعد الحرب العالمية الأولى.

في الحقيقة لا تكمن المشكلة في هيمنة خطاب محدد على آثار فلسطين فحسب، بل المشكلة الحقيقية هي في عدم وجود خطاب آخر يوازي هذا الخطاب على المستوى العلمي والمعرفي، وذلك ببساطة يعود إلى قوة الخطاب الغربي المدعوم بالبنية التحتية كالجامعات والمعاهد ذات الدرجة الأولى كمعهد لندن وجامعة ستانفورد وهارفرد، وهذا ما حول خطابهم إلى حقيقة علمية تاريخية من الصعب التشكيك بها.

إذن، يسيطر الخطاب الأنجلو-أمريكي على السرديات التاريخية الأثرية في فلسطين، وذلك عبر منهج وتيار علم الآثار التوراتي المعترف به أكاديمياً في أرقى جامعات الغرب، وأيضاً عبر عملية التحقيب الزمني والسيطرة على المصطلحات التاريخية التي تخص منطقة فلسطين. وبالرغم من ظهور عشرات الأصوات الأكاديمية التي كذبت جزءاً كبيراً من هذا الخطاب، ورفضت القول بوجود إسرائيل القديمة في فلسطين، فإن هذا الخطاب ما يزال هو الأقوى على المستوى العام في الشارع العربي والغربي، وقوي إلى درجة ما في أروقة الجامعات الغربية، ولكنه أقوى عند الأكاديميين العرب للأسف لأسباب تتعلق بضعف بعض هؤلاء الأكاديميين.

ولكي نفهم أهمية الخطاب الأثري بالنسبة للصهيونية وللغرب عموماً، فقد كانت عمليات الاغتيال المتعددة لعلماء الآثار الغربيين نقطة تحول لدى الكثير من هؤلاء الأكاديميين، فقد تم اغتيال الدكتور الأمريكي ألبرت جلوك في العالم 1992 رداً على أطروحاته حول علم الآثار الفلسطيني وتأسيسه لمعهد الآثار الفلسطيني. وفي هذه الصدد يشير البعض إلى موت العالم بول لاب غرقاً كعملية اغتيال بسبب رفضه لطريقة عمل الآثاريين التوراتيين وتزييفهم التاريخ الفلسطيني، وقد توفي في العام 1970. بالإضافة إلى عملية الاغتيال، فقد كانت سياسة الطرد من الجامعات والمعاهد سياسة غريبة تعرض لها الكثير من علماء وأساتذة الآثار، ومن بينهم عالمة الآثار كاتلين كينون بسبب رفضها جزءاً من الأطروحات التوراتية.

وهكذا يمكن القول إن الصراع السياسي على أرض فلسطين تحول إلى صراع معرفي حول الماضي، وكما يطرح الاستشراق بأن السيطرة على السرديات التاريخية تأتي في خضم الصراع على الأرض والهيمنة عليها، إذ إن الهيمنة على الأرض تحتاج إلى الهيمنة على السرديات لتبرير هذه السيطرة.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

وقد كان الاستشراق الحقل والإطار المعرفي الذي حوّل الأرض والإنسان في فلسطين إلى مادة دراسية وبحثية قابلة للنقاش والتفسير والتحليل والتأويل بحسب مفاهيم غريبة غريبة عن الأرض والإنسان ولد عليها.

تحولت القصص والنصوص التوراتية والتلمودية إلى حقائق تاريخية، وظفت لأجلها المادة الأثرية، وتحولت بعض المواد الأثرية إلى دلائل عليها بحسب تفسيرات الأثريين التوراتيين، فمثلاً قصة "التاجر اليهودي في بابل موراشو وأبناؤه"، هذا التاجر المرابي تحولت قصته إلى حقيقة في الكثير من الأطروحات الأكاديمية والروايات والقصص التاريخية، وهي إسقاط أدبي لتاجر البندقية ولا دليل أثرياً عليها في الأرشيف الأثري في العراق.

واشتهرت قصة نصب "كورح"، وهو نصب آشوري تم العثور عليه في الأراضي التركية الحالية القريبة من شمال العراق، وهو نصب يتحدث عن الحملات العسكرية التي قادها الملك شلمنصر الثالث من بينها معركة قرقر الشهيرة، المهم في هذا النصب هو قيام التوراتيين بترجمة كلمة "شر-إيلا-أ" إلى إسرائيل ونسبوا إلى الملك أخاب أو أحاب، وهو بعيد كل البعد عن الترجمة الحقيقية للنص، وهذا مؤشر على الإلصاق الذي يحصل للنقوش الأثرية من قبل الباحثين التوراتيين.

وبالتالي فقد كانت عمليات التفسير والترجمة للنصوص والنقوش الأثرية تسير بحسب أهواء علماء الآثار في كثير من الأحيان، وخصوصاً حدوث جميع هذه الممارسات في ظل هيمنة كولونيالية كاملة على الأرض الفلسطينية منذ الاحتلال الإنجليزي وصولاً إلى الهيمنة الصهيونية على الأرض. وهنا بدأت كتابة تاريخ فلسطين القديم ورفض أي أطروحات أخرى وتهميشها كما همش الخطاب الألماني بعد الحرب العالمية الأولى، وضيق على أي طرح آخر يتعارض مع الطرح التوراتي أو يرفضه.

ملخص الخطاب الأثري حول فلسطين عبارة عن سرديات تاريخية تعود لسبعة آلاف عام من الآن، تحتوي على حقب ومصطلحات إثنية وديموغرافية وجغرافية صنعت ضمن أطر معرفية محددة بالغرب داخل معاهد متخصصة تنطلق من أيديولوجيا تاريخية ترتبط بالمصالح الكولونيالية المختلفة. وهذا يدخل في صميم الصراع مع الإمبريالية والمركزية الغربية، وهيمنتها التي تنطلق من الأساس الاقتصادي السياسي الذي أسس مجالاته الثقافية التي هيمنت على المعرفة ومركزتها داخل معاهده ومؤسساته الثقافية في الغرب، وهذا ما عزز هيمنتهم على الماضي من خلال تثبيت السرديات التاريخية الغربية حول فلسطين بمساعدة علم الآثار واللاهوت والدراسات التاريخية.

تعدّ السرديات التاريخية الأساس الذي يشكل الهوية القومية للشعب والمجموعات السكانية، فالسرديات الأثرية تضع الأطر التاريخية للشعوب، وتصبح ذات أهمية أكبر للشعوب والدول التي تتعرض لخطر شطب الهوية وتزويرها كفلسطين التي تقبع تحت الاحتلال الغربي منذ أكثر من مئة عام. ولذلك تصبح السرديات التاريخية الفلسطينية القديمة ذات أهمية لنا كعرب، وتحتاج للدراسة وإعادة الإنتاج بشكل علمي. في الجزء الثاني من المقال سيتم سرد الرواية التوراتية حول فلسطين والرواية الحقيقية بحسب علم الآثار والأرشيف الأثري في وحول فلسطين.

الانتهازية السياسية: أسبابها ومظاهرها وأخطارها ناجي علوش*

الانتهازية السياسية من أكثر أمراض الحركات الثورية خطراً، وهي مرض عرفته كل الحركات الثورية في التاريخ وعانت منه الكثير. وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من الحلول التي قدمها القادة الثوريون، ما زالت هذه الظاهرة موجودة، وما زالت تفعل فعلها في الحركات الثورية. ولعلها ومنذ بداية هذا القرن (العشرون) الظاهرة الأوسع انتشاراً والأكثر خطراً، وقد ساهمت في تدمير حركات عمالية وثورية كبرى.

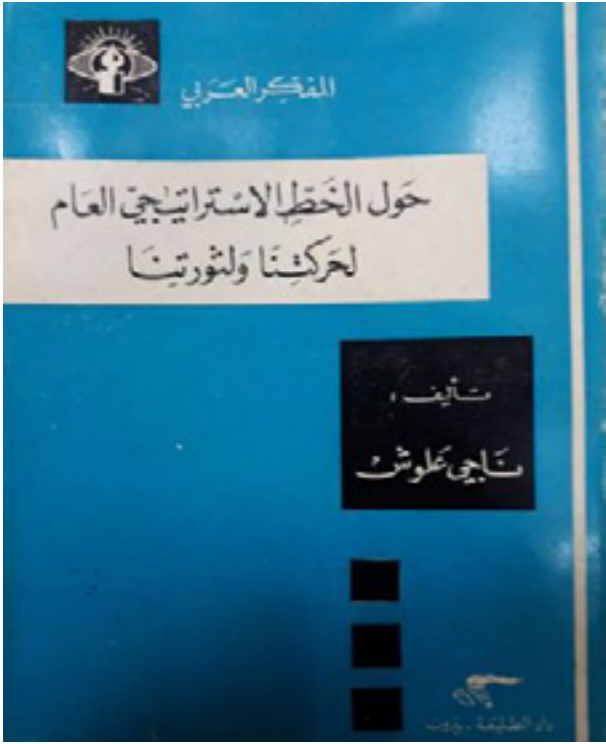
وإذا كان هذا المرض يصيب الحركات الثورية عموماً، فهو أكثر انتشاراً في حركات التحرر الوطني التي تضم طبقات وفئات مختلفة، وتتصارع فيها أيديولوجيات مختلفة.

ويعود انتشار هذا المرض العضال في حركات التحرر الوطني والحركات الثورية عموماً إلى الأسباب التالية:



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد



أولاً، عدم وضوح الخط السياسي وضوحاً كافياً، وعدم توافر برنامج عمل سياسي محدد، منسجم مع ظروف العمل الوطني ومع إمكانياته.

ثانياً، عدم انطباق الممارسات مع الخط السياسي والبرنامج السياسي، ومع المصلحة الحقيقية للفئات التي يمثلها العمل الوطني. ثالثاً، عجز القيادات عن إجراء التقديرات الصحيحة للوضع، واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب.

رابعاً، انحراف القيادات عن الخط السياسي السليم والبرنامج السياسي السليم وانجرافها في مزالق الذاتية والمصالح الخاصة.

وتنتج مثل هذه العوامل مظاهر عامة أصبحت معروفة ومكتشوفة لكثرة ما تكررت في تاريخ الحركات الثورية. وأهم هذه المظاهر:

1 – التقلب والتأرجح والتذبذب: ذلك أن الانتهازيين يحددون مواقعهم على أساس مصالحهم الأنية. فهم اليوم يتبنون موقفاً وغداً يتبنون غيره إذا اقتضت مصالحهم ذلك. إنهم مع القتال إذا لم تكن هناك حاجة للقتال، وكان الموقف يتطلب الصبر والروية، ولكنهم ضد القتال إذا جد الجد، وبات لزاماً على الحركة الثورية أن تخوض المعركة. وهم في اليسار إذا كان في ذلك وجهة ومكسب دعائي، ولكنهم في اليمين إذا أصبحت اليسارية تهمة واشتد هجوم القوى المضادة. كما أن الانتهازيين يسار متطرف عند اليسار ويمين عن عند اليمين، ووسط متوسط عند المعتدلين.

يفعل الانتهازيون ذلك لأنهم يفكرون بمصالحهم الخاصة وبمواقعهم الشخصية. الثورة لا قيمة لها عندهم، والوطن آخر ما يفكرون به. وهم إذا اتخذوا مواقفهم فليس على أساس تحليل علمي موضوعي، بل على أساس تحليل يبحث عن الأرباح والخسائر في المطامع والمواقع.

وينطبق على الانتهازيين مثل ذلك الرجل الذي كان يصلي وراء علي ويتناول الطعام على مائدة معاوية، ويختفي عند الحرب. وعندما سئل عن ذلك أجاب: الصلاة وراء علي أقوم، والطعام مع معاوية أأدم، والفرار من الحرب أسلم... وهكذا يفعل الانتهازيون السياسيون دائماً. إنهم يصلون مع علي ويتناولون الطعام مع معاوية ويفرون من الحرب. الصلاة وراء تكسبهم السمعة الطيبة والطعام مع معاوية يجلب لهم المتعة والفرار من الحرب يجلب لهم السلامة، ولا يخجل الانتهازيون بانتقالهم من علي إلى معاوية إلى الهريبة، لأن دافعهم هو منفعتهم الخاصة.

2 – المزايدة: من طبيعة الانتهازيين أنهم مزايدون. وهم مزايدون دائماً لأنهم يحاولون أن يستروا عيوبهم بالمزايدة. وهم يزايدون لأنهم لا يعملون، ولأنهم يريدون أن يغطوا انحرافهم بالجعجة. فهم أصحاب الكلمات الرنانة والجميل الطنانة. إذا تحدثوا تشدقوا، وإذا وقفوا على المنابر شقشقوا، وهم أناس لا يعجبهم العجب، يكثر من طرح الشعارات الكبيرة، ويستصغرون كل خطة وكل عمل، ويطالبون بالكثير الكثير والكبير الكبير. وتقودهم المزايدة إلى طرح شعارات طفولية وصبيانية تستهدف تغيير العالم كله مرة واحدة، وتحدث عن إنهاء الجيوش وسحق الدول كأنها تحدث عن قتل الذباب بالدب. وهي تطرح مثل هذه الشعارات لتظهر وكأنها وراء علي، وبجانب الصواب، ولتخدع بذلك المخلصين وتضللهم وتشلهم عن العمل؛ ولتقف في وجه العاملين الحقيقيين. وتسمى هذه الظاهرة الصبيانية اليسارية. وهي تمثل الروح الصبيانية الحاملة للمغامرة، العاجزة عن اتخاذ القرار الصحيح وعن الالتزام بالخط السياسي الصحيح، وتزايد بـ"الشعارات الفتانة"، وبالجميل الطنانة والكلمات الرنانة لتخفي عجزها الحقيقي.

3 – المراوغة والمخاتلة والجبن: الانتهازيون جنباء دائماً، وهم لا يواجهون، بيتسمون في الوجه، ويطعنون في الظهر، وهم إذا قبلوك، فقد سلّموك. وشعارهم دائماً: نحن ضد الغائب حتى يحضر، ومع الحاضر حتى يغيب. ولهذا فهم لا يدخلون معارك مواجهة داخل حركاتهم السياسية. فإذا ما ناقشوا عرفوا من أين تورد الإبل، وإذا طلب منهم الرأي عرفوا ما يقولون وما لا يقولون.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

ولذلك فإن التعامل معهم داخل التنظيم الواحد خاصةً مشكلة معقدة، فهم يقولون غير ما يظنّون، وهم يلبسون لكل حالة لبوسها. وهم يستخدمون كل أساليب الرياء والمجاملة والمخاتلة. وإذا كانوا يعملون من أجل تحويل السياسة إلى نوع من "التكتكة"، الرخيصة، فهم يحولون العلاقات الثورية والقيم الثورية إلى أشكالٍ من "التكتكة" الرخيصة أيضاً.

4 - التخاذل والتراجع والاستسلام: الانتهازيون متخاذلون دائماً، مترجعون دائماً، مستسلمون دائماً. إنهم يتحدثون عن القتال كثيراً، ولكن ما أن تذر قرن الحرب حتى يولوا الأذبار، لأن الفرار من الحرب أسلم. وهم قد يرفعون أكثر الشعارات إثارة، ولكنهم لا يتقنون غير التراجع عملياً. وهم على الرغم من تشدقهم وشغفقتهم يقودون حركاتهم نحو الاستسلام. لماذا؟ لأن القتال متعب، فيه تضحيات ودم وعرق، وهم يبحثون عن طريق السلامة. وإذا كان الانتهازيون يرفعون الشعارات المتطرفة، فإنهم في العمل يساومون ويهادنون ويبيعون ويشترون. وهكذا تتخذ الشعارات الخطيرة سناً للمساومات الحقيمة. وهم يغطون استسلاميتهم بغلالاتٍ شتى: المحافظة على الثورة، الانتقال إلى شكل آخر من النضال، إعادة تنظيم الصفوف، انتظار الظروف الملائمة، عدم توافر توازن في القوى، إلخ...

5 - الارتزاق والاستزلام: الانتهازيون لا يقيمون علاقات ثورية، ولا يحترمون القيم الثورية. ولذلك فهم يقيمون علاقات ارتزاق واستزلام. وبما أنهم لا يفكرون إلا بمنافعهم، فبالمنافع يشترتون الآخرين. وبما أنهم يريدون أدوات ولا يريدون رفاق سلاح، فإنهم يستزلمون. وهكذا يفسدون العلاقات الثورية، ويحولون التنظيم إلى "شلل" منتفعة مرتزقة تفكر بذواتها وبمنافعها، ولا تعرف من النضال إلا اسمه. وهذا ما يجعل الانتهازيين يشجعون الروح الفردية ويثيرون عوامل التنافس غير الشريف، ويبدون بذور الريية والشك بين الأعضاء، ويجزلون العطاء للذين ينافقون ويخاتلون إلخ... وهدفهم من هذا كله إشاعة روح الارتزاق والاستزلام وربط الأعضاء بهم فردياً وشخصياً ومصليحياً.

6 - انتهاز الفرص: والانتهازيون فوق هذا هم أساتذة انتهاز الفرص. من هذا اكتسبوا اسمهم. وهم دائماً يتحينون الفرص، ويحسبون حساب اللحظة التي ينقضون فيها. إنهم لا يتورعون عن خيانة رفاقهم وحلفائهم في الساعة الحرجة، ولا يترفعون عن استغلال أزمة عامة استغلالاً مصليحياً. فإذا ما وقعت الثورة في مآزق نتيجة تأمر خارجي أطلوا برؤوسهم يطالبون بمنافع ومصالح. وإذا تعرضت الثورة للمخاطر رفعوا شعارات الاستسلام تحت واجهات براقة. ولهذا كله فإن أخطار الانتهازية كبيرة وكبيرة جداً. إنها:

أولاً، تفسد المناضل، تقتل الدوافع الثورية عنده، وتحل محل حوافزه الشريفة حوافز المنفعة والارتزاق والاستزلام. إنها تجعله "محتالاً" في زي ثائر، و"جباناً" في زي شجاع، ومنتفعاً في زي "متفان".

ثانياً، تفسد التنظيم، تدمر العلاقات الثورية فيه، وتقيم مكانها علاقات نفعية وارتزاقية واستزلامية. وبهذا يفقد التنظيم فعاليته وصلابته وتماسكه ونبله الثوري، وبالتالي يفقد ثقة الجماهير واحترامها ومحبتها. الانتهازية تُجلب الرياء محل الصدق، والكولسة محل المواجهة الثورية، والاستفاداة محل التضحية، والشك والريية محل الثقة. كما أنها تلغي دور اللجان القيادية لمصلحة الأفراد، ودور المناقشة والحوار لمصلحة الأوامر العليانية. وعليه فإنها تضرب كل مبادئ العمل التنظيمي في الصميم.

ثالثاً، تشوّه الخط السياسي بالتذبذب المستمر والانتقال من موقف إلى موقف، ورفع شعارات أقصى اليسار وممارسة عمل أقصى اليمين. وبهذا فهي تخلق البلبلة والاضطراب، وتثير المعارك الجانبية، وتفتعل المعارك الداخلية، لا من أجل المحافظة على الخط السياسي السليم، بل لتحقيق مزيدٍ من المكاسب الذاتية والشخصية.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

رابعاً، تعزل ما بين التنظيم والحركات الوطنية والجماهير لأنها تمارس نظرة ضيقة وعلانية. وعليه فإنها في العلاقات مع الفئات الوطنية تتاور وتداول باسم الوحدة الوطنية لتحقيق مكاسبها ومطالبها. وهي تحتقر أطراف الوحدة الوطنية وتستعثر بهم في الوقت الذي تتحدث فيه عن الوحدة الوطنية حديثاً جميلاً طويلاً. أما في العلاقات مع الجماهير، فإنها تمارس تصرفات عليانية، تحكي باسم الجماهير وتتحدث عنهم ولكن في المقاهي والملاهي، ولا تصل إليهم إلا في الاحتفالات والمآدب.

الانتهازية مرض الحركات الثورية العضال ولا يمكن معالجتها إلا ب: 1 - التزام خط سياسي واضح ومحدد، منبثق من فهم علمي للظروف الموضوعية وإمكانيات الثورة، 2 - التزام خط تنظيمي ثوري وتقاليدي تنظيمية ثورية أساسها الوعي والتضحية والعمل الجماعي والإخلاص للقضية، لا الارتزاق والاستزلام والفردية إلخ...، 3 - محاربة الانتهازية فكرياً وسلوكياً ونبذ الانتهازيين نبذ الشاة الجرباء وكشف ألعبيهم ومناوراتهم.

وفي هذا الوقت الذي تستشري فيه الانتهازية في الحركة الوطنية الفلسطينية، يجب أن يكون من أولى مهماتنا محاربتها بشجاعة وشراسة لكي نستطيع ضمان استمرار ثورتنا وانتصارها. ولا بد من أن تسقط حركتنا الوطنية كل الذين يصلون وراء علي ويأكلون مع معاوية ويهربون من المعركة.

* بيروت، 18/2/1972، وأعيد نشره في كتاب "حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا" (1974)

الصفحة الثقافية: تهميش قضايا العرب في الأعمال الفنية طالب جميل



كلما تعقدت الظروف السياسية في الوطن العربي وازداد حجم التفكير والقطيعة بين أقطاره، وكلما ارتفع سقف الارتهان للخارج وصارت التبعية نهج عمل ومسار حياة، أصبح الانبطاح سيد الموقف والدستور السائد، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى فقدان السيادة وتسليم أدوات القيادة والإنتاج والعمل للخارج وانتظار وصفا جاهزة من الخارج للنهوض والنمو.

إن فقدان الإيمان بوحدة المصير والتخلي عن القومية العربية كفكرة وخارطة طريق وطوق نجاة صلب، مع ما لحقنا من عارٍ بسبب معاهدات الخنوع والتخلي والبيع والتسليم، جعلنا نخشى حتى بالسر من المجاهرة بحقنا بأرضنا ودماء شهدائنا وحقنا بحياة أفضل



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

والعيش في ظل دولة كبيرة قوية تخشاه كل القوى العظمى ولا تجرؤ على استباحة أراضيها أو الاعتداء على خيراتها، فصار الحلم بحد ذاته جريمة تعرض صاحبها للعقوبة والمحاسبة.

وفي عصر الانبساط يكثر التدليس وتشويه التاريخ وتقزيم الرموز الوطنية والقومية، وتسخيف الإنجازات والبطولات والتقليل من شأن التضحيات، والتشكيك بالانتصارات، وتسود لغة التخوين وتراشق التهم وتصير كل المنجزات الوطنية والقومية معروضة في بورصة للتبئيس والاسترخاض، والهدف دائماً هو إظهار هذه الأمة بصورة غوغائية وأنها عبء على غيرها وعاجزة عن التقدم والنجاح، وحتى أن كل ما قدمته سابقاً ليس سوى هراء مبني على مجموعة من الأكاذيب والمعلومات المغلوطة.

لذلك لا يبدو مستغرباً ما يحدث في كثير من أقطارنا العربية وبيعاز من كافة القوى الاستعمارية التي ما تزال تحتل كثيراً من أقطارنا بشكل غير مباشر، عدا عن الاحتلال المباشر الموجود في بعض الأراضي العربية مثل فلسطين، العراق، الجولان وغيرها، فهناك إجراءات تتخذ هدفها محو تاريخنا العربي وتقزيم فكرة الوحدة بالدرجة الأولى وتتمحور هذه الإجراءات عبر بعض المظاهر التي يمكن تلخيصها بما يلي:

1. شطب كل ما يمس بصلة بقضية احتلال فلسطين وعدم التطرق للأراضي العربية المحتلة من قوى استعمارية أخرى مثل لواء الاسكندرون أو سبتة ومليلية خاصة في المناهج المدرسية وإخفاء هذا الجانب عن الأجيال.
2. اعتبار دولة الكيان الصهيوني أمراً واقعاً وجزءاً طبيعياً من المنطقة، فهي تُذكر في المناهج ووسائل الإعلام بشكل طبيعي ولا يتم ذكرها كقوة معتدية أو محتلة، ويتخلل ذلك تسويق خطاب التطبيع بشكل مستفز.
3. التركيز على الخطاب السلمي الانهزامي الأجوف، وحصر البطولات والإنجازات في بعض معارك قطرية يكون أبطالها بالعادة أبناء السلالات الحاكمة في كثير من الأقطار.
4. حصر المناسبات الوطنية على أساس قطري بحيث ترتبط بأشخاص أو فعاليات ليس لها علاقة بأي مقاومة لمستعمر أو نضال من أجل تحرير أرض.
5. الترويج للحقبة العثمانية على اعتبار أنها فترة خلافة عادلة والتغاضي عن التجهيل والقتل والإذلال الذي تعرض له العرب وذلك عبر أدوات الإسلام السياسي المتحالفة دائماً مع السلطات والأنظمة ومع الغرب.
6. إظهار مراحل النهوض القومي للأمة العربية خلال الخمسينيات والستينيات على أنها مراحل قمع وعنف وتراجع وهزيمة، وتسليط الضوء على سلبيات تلك المرحلة وتضخيمها من دون مراعاة للظروف الإقليمية التي كانت سائدة آنذاك، وعدم الاعتراف بإنجازات تلك المرحلة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية.
7. تحويل رجال الدين لدعاة يعتلون المنابر للحث على كيفية ممارسة العبادات والحديث عن الغيبات، وإلى مندوبين لمبيعات الأنظمة الحاكمة التي عادة ما تكون ضمن باقة الانبساط والخنوع.

وقد انعكست هذه المظاهر على الثقافة البصرية التي تُقدم للجمهور العربي عبر بعض الفنون مثل السينما والدراما التلفزيونية، فيلاحظ بشكل واضح شح الأعمال السينمائية والتلفزيونية التي تتناول قضايا الأمة العربية وتسليط الضوء على جرائم القوى الاستعمارية بحق الشعب العربي بل أن هنالك قضايا منسية لا يتم تناولها بالمطلق، وهنالك رموز وطنية وقومية وشخصيات عربية لها صولات وجولات في مقاومة المستعمر، ومحطات ووقائع مهمة تتعلق بالدفاع عن الأرض العربية وحقوق العرب، لم تعد تذكر ولا يشار لها في أي عمل فني.

إن ارتهان الدول والأقطار للخارج يعني ارتهان قرارها للخارج وبالضرورة يعني ارتهان اقتصادها بشكل أو بآخر، وعليه فإن أي مغامرة إنتاجية لإنتاج عمل فني بهذا الاتجاه سيكون مصيرها الفشل خاصة وأن رأس المال يخشى دائماً من الخسارة، فكيف إذا كان رأس المال غير وطني وغير معني إلا بالربح ولا يقبل المغامرة حتى لو من أجل الوطن أو الأمة.

وفي ضوء ضعف المناهج المدرسية وعدم تسليطها الضوء على قضايا الأمة بشكل حقيقي وواقعي، ونمط الحياة الاستهلاكي السائد لدى الشعب العربي، وعدائية الأنظمة تجاه العمل الطلابي في مرحلتَي المدرسة والجامعة وتفويض العمل السياسي والحزبي في كثير من الأقطار وسداجة ما يقدم عبر وسائل الإعلام المختلفة حول كل ما يتعلق بالشأن



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

العام، يبدو الفن خاصة ما يقدم عبر السينما والتلفزيون نافذةً جيدةً ومهمةً لتقديم قضاياها من خلاله وخاصة أن العمل السينمائي والدرامي يمتلك مساحةً واسعةً للسرد والتعبير عبر الصورة والصوت، وبالتالي إيصال الفكرة لعامة الناس بالشكل المطلوب، والقيام بدور تثقيفي وتوعوي إضافة إلى التحريض وبث الحماسة لدى الشباب.

ماذا يعرف الشباب العربي اليوم عن جرائم العثمانيين بحق العرب وعن حقيقة السلطان عبد الحميد الثاني، وعن مشروع محمد علي باشا القومي وعن الجمهورية العربية المتحدة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وعن احتلال فلسطين والاحتلال الفرنسي والبريطاني والإيطالي للأراضي العربية، واحتلال لواء الإسكندرون وعن الجولان السوري المحتل، وعن الأراضي المغربية المحتلة وثورة التحرير الجزائرية وثورة العشرين في العراق واحتلال العراق 2003، وعن قامات كبيرة مثل سلطان باشا الأطرش وعبد القادر الحسيني وعز الدين القسام وغسان كنفاني وعبد الكريم الخطابي وعمر المختار وجول جمال؟؟

ألا تحتاج مثل تلك الأحداث لمن يتحدث عنها ويسرد أحداثها بالتفصيل، ومثل هذه الشخصيات ألا تستحق أن توثق تجربتها من خلال عمل تلفزيوني أو سينمائي؟؟

ألا تحتاج حكايات وبطولات بهذه العظمة لمغامرة إنتاجية من دولة أو شركة أو شخصية أو محطة وطنية تضعها أمام المشاهد العربي؟؟

من الواضح أن هنالك جريمةً كبيرةً ترتكب بحق الأجيال الجديدة بهدف تشويهها فكرياً وسياسياً وفصلها بشكل كامل عن محيطها العربي، وتجهيلها بتاريخ أمتها وسلب حماسها وقتل ومحاصرة أي أفكار تقدمية لديها أو توجهات سياسية ترمي إلى تعزيز هويتها العربية والدفاع عن قضايا العرب، وتبدو الجريمة واضحة الأركان فأدواتها عملاء الاستعمار وأذناؤه ودعاة التطبيع مع العدو الصهيوني وأصحاب النزعات القطرية المريضة وعبر كافة المؤسسات والهيئات المؤثرة خاصة تلك المعنية بالشأن التثقيفي والإعلامي والتربوي والتوعوي خصوصاً التي يملكها أو يمولها أو يديرها أي جهات متواطئة من تلك الأدوات.

ملحق ثقافي: الصعود الفني في فترة الوحدة المصرية-السورية

في العام 1959 وفي فترة الوحدة بين مصر وسورية (الجمهورية العربية المتحدة) كتب الموسيقار محمد عبد الوهاب مادة في مجلة الغد المصرية وهي مجلة ثقافية شهرية في صفحات العدد (3) الصادر بتاريخ 1/3/1959 بعنوان (المسرح الغنائي ضرورة قومية) يقول فيه:

الفن هو أكثر العوامل إثارة للأحاسيس الطيبة في نفس الإنسان، ومعركة القومية العربية التي يخوضها الشعب العربي اليوم بقيادة الجمهورية العربية المتحدة لها أسلحتها المادية ولها أيضاً أسلحتها الروحية والعاطفية.

وفن الموسيقى والغناء بالذات سلاح حاسم يؤلف بين قلوب العرب ويوحد مشاعرهم نحو هدفهم المشترك، ويقرب المسافات البعيدة التي تفصل بينهم من المحيط إلى الخليج.

بل قد يغترب العربي ويهاجر إلى أمريكا أو غيرها من بقاع الأرض ويقوم فيها ويتخلق بعاداتها، ولكنه لا يتخلى أبداً عن شيء عزيز لديه تتمثل فيه بلاده الأم، ذلك هو الأسطوانة العربية.

أذكر مرة وأنا في باريس منذ عشرين عاماً، إذ تعرفت بمواطن سوري هاجر إلى فرنسا وأقام بها أكثر من نصف قرن وأنجب هناك أولاداً نشأوا وكبروا في ظل الثقافة الفرنسية بعيداً عن كل ما هو عربي، بل أن لغتهم العربية ذاتها كانت مفككة وركيكة وكثيراً ما يخونهم التعبير بها. وعندما زرت الرجل في منزله علمت منه أنه لم يزر بلاده مرة واحدة منذ غادرها وأن أولاده لم يروا أرضاً عربية في حياتهم فقلت له مستنكراً:

- كيف هذا؟ إنك بذلك فقدت كل صلة بينك أنت وأولادك وأحفادك وبين وطنك الأصلي!



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد



فابتسم الرجل وقال في تأكيد:

- بل أن الصلة موجودة ولم تنقطع يوماً واحداً، إنها موجودة هنا.
ومد الشيخ يده وأدار مفتاح الجرافون، وإذا بي أسمع أسطوانة "يا جارة الوادي"!
ورأيت الدموع تنزلق في عيني الشيخ وزوجته وأولاده الثلاثة!

وعلى هذا الضوء نستطيع أن نقدر حقيقة الدور الكبير الذي تلعبه الموسيقى في ربط المواطنين حول وطنهم الواحد.
إن من حقنا، بل من صالحنا أن ندعم هذا السلاح الخطير وأن نرعاه ونتبعه في كل اتجاهاته وأن نطوره وننطلق به، ونحن ندرك تماماً أنه رابطة قدسية راسخة تجمع بين كل أبناء هذه الأمة العربية. ولننظر الآن من أين نبدأ زحفنا في هذا الاتجاه...

إن الغناء عندنا، سواء في الجمهورية العربية المتحدة، أو في غيرها من دول الوطن العربي ما زال محصوراً في الحفلات العامة أو الخاصة، وهذه الحفلات العامة أو الخاصة لا تستطيع أن تقدم إلا لوناً واحداً من الغناء هو اللون العاطفي الذي يعبر عن الحب الرقيق والهجر والحرمان إلى آخر كلمة في قواميس الوجد والغرام.

وهذا اللون الواحد يحدد تفكير الملحن والمؤلف معاً، ويضرب عليهما نوعاً من الجمود لا يستطيعان التحرر منه، أو الانطلاق لما وراءه.

ومع أننا خطونا خطوات واسعة جداً في تلوين هذا اللون إلا أنه على كل حال لون واحد محدود.

ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يطالب المغني بأن يقف في حفلة عرس ليغني لحناً عن السد العالي، فالجمهور والمكان والأذان والمناسبة... كل ذلك لا يمكن أن يهيئ جواً يسمح بمثل هذا اللحن.

لكن إذا تصورنا أحد العمال يقف ملوحاً بساعده القوي في إطار روائي على المسرح، وقد هيا له الموضوع الروائي هذا الموقف البديع ثم غنى العامل هذه الأغنية عن السد العالي، فمن من الجمهور لا تدخل إلى قلبه كل كلمة وكل فكرة تخرج مع اللحن الجديد؟

إن المسرح الغنائي هو البداية في تطوير جديد، سيرفع عن كاهل الملحن والمؤلف قيد "الأغنية العاطفية" الذي يلتزمون به ويفتح لهما أفقاً جديدة ترتقي بالفن وتطوره إلى الأمام وتحفظه لنا سلاحاً خطيراً في ربط الشعوب العربية وتدعيم وحدتها.

ومن ناحية أخرى، فلنتصور أن ضيفاً نزل في القاهرة وأراد أن يسمع موسيقانا العربية، فأين يستطيع أن يذهب؟

للأسف... ليس هناك سوى الكباريات الليلية التي تقدم أرخص الفنون وأكثرها ابتذالاً.

ألا يحط هذا من قدر دولتنا بأسرها قبل أن ينال من قدر الفن في ذاته؟

عندما كان المسرح الغنائي مزدهراً في عهد سيد درويش كانت الجماهير تغني إلى جانب "زوروني كل سنة مرة" لحن القل القناوي ولحن السقاين، كما كانت تغني بلادي بلادي وقوم يا مصري وغير هذا من الألحان التي تتجاوب مع أهداف الشعب وقضية تحرره.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

لماذا؟

لأن هذه الأغاني انتقلت إلى أسماعهم وأبصارهم معاً، وأحيطت بالجو الذي يكفل لها الاستساغة والهضم، وذلك عندما قدمت لهم على المسرح الغنائي.

ثم إنني لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن للثورة أن تزحف في كل نواحي الحياة.. في الصناعة والعلوم والإنتاج، بل في شكل وتركيب مجتمعنا بأسره. إذ تنتقل به من الإقطاع إلى العدالة الاجتماعية المطلقة ومن بلد زراعي متخلف إلى بلد صناعي متطور ومن تبعية ذليلة للاستعمار إلى حركة تحررية تتجاوز الوطن العربي إلى كل شعوب آسيا وإفريقيا...

كيف تزحف الثورة في كل هذه الاتجاهات ثم نظل واقفين بالفن خلف أسواره المغلقة؟

إن الدولة في كل هذه التطورات هي التي تتحمل العبء المادي الأكبر، وهي صاحبة النصيب الرئيسي في دفع العجلة إلى الأمام.

ونحن الفنانين نريد أن يرتفع فننا إلى مستوى المعركة.

إننا نطالب الدولة بأن تساهم في تطور فننا المسرحي والغنائي وأن تمد يدها لترفع فننا إلى المكان الذي تطالبنا به الأجيال القادمة.

إننا نطالبها بأن تبني مسرحاً خاصاً للأوبريت وأن تنشئ فرقة أوبريت كاملة بجهاز من الموسيقيين المدربين لا يقل عن أربعة وعشرين عازفاً، وأن تضم إلى هذه الفرقة مطربين ومطربات من ذوي الطبقات الصوتية المختلفة، إلى جانب المرددات من الرجال والنساء.

والخامة موجودة، وأنا بالذات أعرف عدداً من المطربين والمطربات الشبان يصلحون جداً لأن يكونوا نواة لهذه الفرقة. وقد وجدت من السيد وزير الثقافة والإرشاد انفعالاً وإيماناً بوجوب وجود هذه الفرقة.

فعسى أن يترجم إيمانه إلى حقيقة واقعة حتى يستطيع التاريخ أن يسجل يوماً ما أن جيلنا هذا قدم إلى الأجيال التي أتت من بعده الحرية والتصنيع، والسد العالي، وفرقة الأوبريت.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

قصيدة العدد: من أجل قامات الصباح/ طلعت سقيرق*

داومت أن أبني دمي
شجراً علي صدر النهار
شمساً وقافية ...
وناز
أمضي إلى من شرشت
في القلب .. من
شدت على قيثرتي
حتى اليدين وأشعلت
لحن الرجوع إلى الديار
... وإذا أنا ضلغ المخيم أردي
من وردة الشهداء من ..
خطواتهم
هذا الحنين
وأردي
قيثرتي ..
أمتد في الأرض التي في قامتي
وإذا أنا شوق المخيم أردي
ضلغ النهار
شجراً وقافية .. وناز
* * *

نام الشهيد على ذراعك فافتحي
كل النوافذ للصباح
نام الشهيد على ذراعك رائعاً
فتدفقي
في كل أوردة الصباح
شد الشهيد على ذراعك واثقاً ..
فتوهجي ..
وتوهجي ..
أنت الصباح
* * *
تفاحتي حين ارتديت شراعها
راحت تنقط ياسمين
وأنا الحنين .. أنا الحنين
أمشي إلى هذا الألق ..
أمشي إلى ضلع الفلق
* * *

داومت .. أن أبني دمي
داومت لا أرتد عن معنى اندفاعي
للشجر
عن كل ما كتب المطر
داومت أن أمضي إلى جدي





لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

يصافحُ قامةَ الزمنِ الطويلِ
ويلفُّ فوقَ ذراعِهِ
وجبينَهُ
ضوءَ النخيلِ
في كلِّ أوردَةِ الصباحِ
شدَّ الشهيدُ على ذراعِكِ وثقاً ..
فتوهجي ..
وتوهجي ..
أنتِ الصباحُ
* * *

تفاحتي حينَ ارتديتُ شراعها
راحتَ تنقُطُ ياسمينِ
وأنا الحنينُ .. أنا الحنينِ
أمشي إلى هذا الألقِ ..
أمشي إلى ضلعِ الفلقِ
* * *

داومتُ .. أن أبني دمي
داومت لا أرتدُّ عن معنى اندفاعي
للشجرِ

عن كلِّ ما كتبَ المطرُ
داومتُ أن أمضي إلى جدي
يصافحُ قامةَ الزمنِ الطويلِ
ويلفُّ فوقَ ذراعِهِ
وجبينَهُ
ضوءَ النخيلِ
داومتُ ما ارتعشتُ يدي
ما أدمنتُ ..

غيرَ التشبُّثِ بالقناديلِ المضيئةِ ..
بالدماءِ

من أجلِ قاماتِ الصباحِ
تلفَ أوردَةَ البلادِ
تضيءُ للشجرِ الغناءُ
من أجلِ وجهِ الشمسِ في ميناينا
إن زغرذتِ
أو أطلقتِ
شهبَ اللقاءِ

داومتُ أن أمضي إلى مشوارنا
والأرضِ تأخذني إلى ميلادنا
فأصيحُ يا أرضُ المددِ
يا أرضنا المددُ .. المددُ
كم لي إذا لفتَ يداكِ عظامَ جسمي
ما يطيبُ من التشهي



لائحة القومي العربي

العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

واندفاعاتِ المواويلِ العتيقةِ
وانتفاضاتِ الحنينِ
كم لي إذا لفت يداك حدودَ جلدي
حينَ جدِّي
يرفَعُ الشجرَ المحنَى بالنشيدِ
يمدُه حتى عروقي
كم لي إذا شدت يدي
فوقَ اليدينِ وأسرجتِ
هذا اللقاءَ توهجاً
كم لي إذا مدنَ البلدِ
لمت علي قيثارتي .. أحلامها ..
وتألفت حتى دمي ..
.. وإذا أنا ضلعُ المخيمِ والمطرِ
أمضي إلى قيثارتي
وأشدُّ للصدرِ الشجرِ
وأشدُّ للصدرِ
الشجرِ...

*طلعت سقيرق:

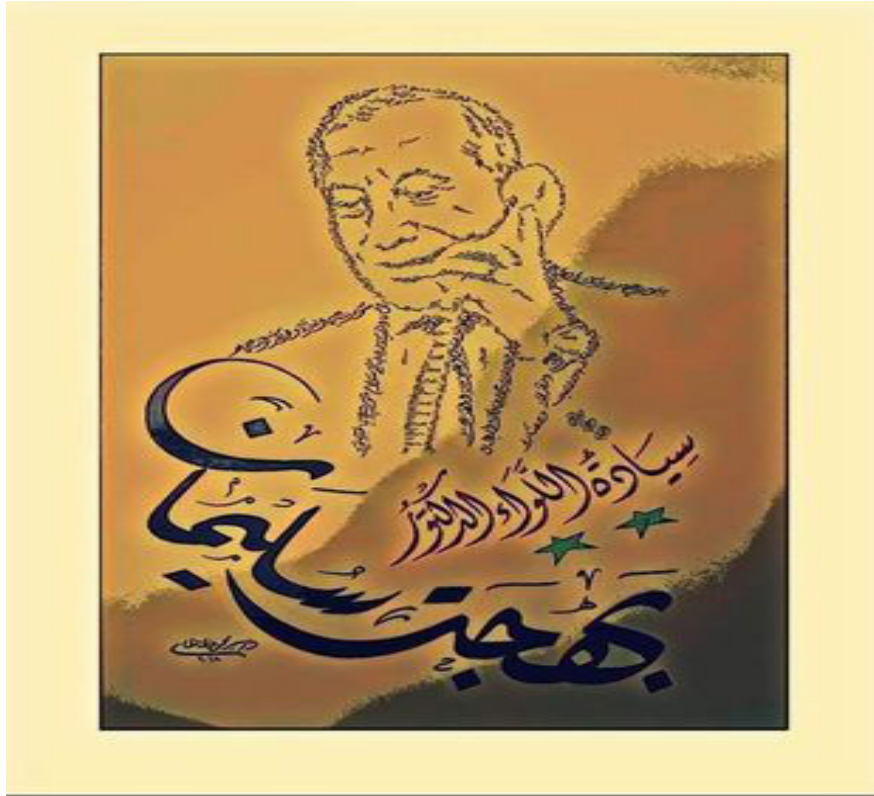
من جرح المخيم، يولد الشاعر مع كل قصيدة، فيأتي الشعر نشيجاً على أوتار الغربة، نشيجاً لا يئن كما الأنين، ولا يخفت مع الزمن، فالنشيج هنا نداء ثورة، لا تغتالها الأيام ولا تطعنها دناءات الأخوة، ثورة البنادق التي لا تموت. من جرح المخيم، يولد طلعت سقيرق كل مرة، ويحيي فينا جذوة مصيرها أن تتقد دائماً وأبداً إلى حين التحرير!

الشاعر فلسطيني من مواليد طرابلس 18 آذار 1953، نشأ منذ الطفولة في دمشق وفيها تلقى علومه، حيث درس في جامعة دمشق وحاز على الإجازة في الأدب العربي عام 1979 وعمل في الصحافة ومسؤولاً ثقافياً في مجلة ((صوت فلسطين))، وله العديد من المؤلفات في القصة القصيرة والمسرح والنقد الأدبي، توفي في دمشق عام 2011.



العدد رقم (74) صدر في 1 آذار عام 2021 للميلاد

رسم العدد: سيادة اللواء د. بهجت سليمان



انتهى العدد